الوضع العربي

الوضع العام في اللغة إلقاء شيء على غيره ، ومعانيه الاصطلاحية كثيرة بحسب العلوم والصناعات . والوضع اللفظي أقسام :

(١) لغوي : وهو تخصيص اللفظ بالمعنى ابتداء بحيث يدل عليه من غير قرينة .

(٢) وشرعي : وهواستعمال الشارع لفظاً في معنى شرعي بينه وبين اللغوي مناسبة .

(٣) وعرفي خاص : وهو استعمال العلماء وار باب الصناعات الفاظاً في معانٍ غير معانيها الاصلية اللغوية لمناسبة بينهما .

(٤) وعرفي عام : وهو توسيع عامة الناس في استعمال الفاظ في معان بينها وبين معانيها اللغوية مناسبة كاستعمال الدابة في ذوات الاربع .

ونقصد الآن الى بيان الوضع اللغوي الابتدائي فنقول :

علمنا مما تقدم ان وضع اللغة لا يأتي جملة وعلى دفعة واحدة . بل يقتضي الوفاً من السنين تكاثر فيها الالفاظ وتزايد حروفها . و يتولد بعضها من بعض . وتتميز اساليب استعمالها بتركيبها مع غيرها . ولكل من الوضع الافرادي والتركيبي بحث يخصه .

« لوضع لأفرادي ومراتبه »

الوضع الافرادي (اي تأليف اللفظ المفرد من حروف تؤدي معنىً مقصوداً) له مراتب يتدرج فيها حتى يصل الى غاية الكمال او يقارب .

« المرتبة الاولى »

ان مرتبة الوضع الاولى هي مرتبة تألف الكلمة . إما من محاكاة الاصوات . وإما من الارتجال على حسب الالهام من الله واستعمال قوة النطق الموهوبة له . او التلقي عنه تعالى بوحي .

« محاكاة الأصوات »

زعم كثير من القائلين بتولد اكثر الفاظ اللغة من اصوات الحيوان ان اصل هذه الالفاظ أحادية الهجاء . اي انها ذات حرف واحد متحرك بحركة او ساكن متوصل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اليه بحركة . وقد كان يكون هذا الغرض وجيهاً لو ان جميع الالفاظ ساذجة أحادية النغم والجرس . فاما ونحن نسمع من الاصوات المتعدد النَّغَم والجرس . والمتصل . والمنقطع . كأصوات الطيور المغردة وقصف الرعود وضحك الانسان فلا مانع من فرض تألف اللفظ المحكي من اكثر من هجاء واحد . او هجاء متكرر على الاقل . كما يشاهد في بداية نطق الاطفال .

ونشوء الالفاظ من محاكاة الاصوات خاضع لعدة نواميس فطرية في الانسان :

الاول : ان صوت الانسان مختلف عن اصوات غيره بحكم اختلاف مصدر صوته عن مصور اصوات غيره : من الحنجرة والحلق والفم . فمحاكاته لها لا تكون مطابقة لها من كل وجه . ومانراه من محاكاة بعض المضحكين لعواء الكلب ونهيق الحمار . انما يكون بعد رياضة ومعاناة وتكلف على فروق دقيقة بينها يتميزها العارفون .

الثاني : ان تمييز الاصوات بحاسة السمع الانساني يختلف باختلاف الاشخاص ويشتد الاختلاف باشتداد التشابه ودقة الفروق وينشأ من ذلك كثير من انواع التوهم الفطري في الانسان المفضي الى الخطإ في الحكم وسوء التفاهم .

الثالث : ان القدرة على محاكاة المسموع المتحقق بالنطق الانساني متفاوتة بتفاوت الاستعداد الفطري والانفعال العصبي وتركيب بعض آلات النطق كاللسان ووضع الفكين والاسنان . فأكثر الامم الآرية لا يستعمل الحروف الحلقية وكثير من العجم لا ينطق الا ببضعة أحرف بحيث لا يستطيع النطق بغيرها . ولو بذل في ترويضه كل جهد . واللثغة في الأطفال ناشئة من استعصاء آلات الصوت في بداية النطق . ثم تتقوى بمطاوعتها بقوة التنبه فيهم واخذهم بالتثقيف والرياضة . واللثغة في الكبار ناشئة من عجز بعض آلات الصوت عن أداء وظيفتها لضعف في بعض أعصابها .

الرابع : ان الانسان ميال بفطرته الى التساهل او التوسع فيما يصعب عليه . ولو كان في قدرته تذليله بالجد والتعب . فالاوربي ينطق العين همزة والحاء هاء او خاء والخاء كافاً مع استطاعته النطق بها بالرياضة والتمرين كما شاهدناه عند تعليمنا كثيراً منهم .

الخامس : ان التساهل او التوسع في التعبير يختلف باختلاف الاشخاص والامم . فتساهل زيد غير تساهل عمرو . وتساهل الرومي في النطق ببعض الحروف العربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غير تساهل الطليـاني . وتساهله غير تساهل الانجليزي . وبينما ينطق الزنجي بالخاء هاء اذ ينطق بها المالطي حاء . وهكذا .

السادس : ان التساهل اوالتوسع في النطق — او ما نسميه التحريف — يكون غالبًا في الحروف المتشابهـة المخارج او المتقاربتها . كما يظهر بادنى تأمل عند تتبع تحريفات الأطفال والأعاجم .

اذا عرفت هـذه النواميس وما تقتضيه سهل عليك معرفة اختلاف الناس في محاكاة المسموع بحروفهم التي يسهل عليهم النطق بها وذهابهم في تحريفها عن اصلها كل مذهب مما كان له أبين أثر في تنمية عدد الألفاظ . وخاصة المترادفة والمتقاربة المعاني وسهل عليك استنباط القانون اللغوي الكلي الذي وضعه علامتنا ابوالفتح بن جني وهو :

« الألفاظ المتصانبة الحروف متصاقبة المعاني »

وبناء الكلمات من حكاية الاصوات تكون على أنواع :

فمنها ما يحاكي صوت الحيوان غير الانسان . ومنهـا ما يحاكي صوت الانسان . ومنها ما يحاكي الأصوات الناشئة من تفاعل قوى الطبيعة .

فمن الألفاظ المحاكى بها صوت الحيوان « عواء الكلب » اصله هجاء العين متحركًا بحركة و « مواء الهر » اصله الميم متحركة و « خوار العجل » اصله الخاء متحركة و « صئي الفرخ » اصله الصاد محركة و « نهيق الحمار » اصله الهاء و « رغاء الإبل » اصله الراء او الغين و « زقاء الديك » اصله القاف و « نبيب التيس » اصله الباء مكررة و « خرخرة الهر » اصله الخـاء والراء مكررتين و « قطقطة القطاة » اصله القاف والطاء مكررتين و « طنين الذباب » اصله النون و « صرير الجندب » اصله الصاد والراء وغير ذلك مما لا يحصى في مثل هذه العجالة .

ومن الفاظ الأحداث المحكي بهـا أصوات تفاعل الطبيعـة (مثل تلاقي جسمين بالتصادم والتقـارع والاحتكاك او سقوط احدهما على الآخر او انفصال أجزاء جسم بآخر) الدق والصك والحك والهد والسد والقط والبج والمص والرش والشق وخرير الماء وحفيف الاشجار وهبوب الرياح وخفتها وهلم جرًا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الفاظ الذوات المنقولة عن حكاية الاصوات لصدورها عنهـا الانف والفم والشفة اصلها الفاء كما لا يخفى ومثلها الحلق والحلقوم والحنجرة اصلها الحاء زيد عليهـا بعض الحروف كما سنبينه فتبين ان جميع الالفاظ الآنفة أصلها حكاية أصوات بهجاء واحد متحرك او بهجاء ساكن توصل اليه بمتحرك قبله ثم زاد عليه حرف ٠

(١) اما بقصد مد الصوت كغاء السنور وخار العجل ٠

(٢) واما بقصد تكريره وتقويتـه مثل خر الماء وبح الصوت وصر الجندب وهرّ الكلب وهد الحائط فترى ان الزيادة وقعت بتكرير الثاني لتكرير حدثه ٠

(٣) واما بالابدال والقلب لسوء السمع او سوء الحكاية او الميل الفطري الى التساهل والتوسع العـام مثل (لط) اصل معنـاه اللزق واللطخ والستر حرف آخره حروف شتى في مثل لطأ ولطخ ولطم ولطس ولطى ومعانيها كلها متقاربة ثم بابدال حروفه ينشأ : لت ولتب النافة ـ في انفها طعنها ٠ ولتج بمعنى ضرب ولتخ ولتد ولكد ولتز ولتف ولتم ورطس ولطب وكلها متقاربة المعاني ٠

ومثل (قط) — الاصل في معناه « القطع » فأخذ منه للاسباب المتقـدمة قطع وقطب وقص وقصم وقصل وكسر وقصب وقصر وقصف وقصا وقض وقضم وقضب وقضع وكسر وكسم وحذ وحذم وجذم وجذر وحذف الخ ٠

ومثل ذلك يقال ـ في بقية الزوائد على هجاء او هجاءين لتكوين أبنية الكلم من ثلاثة احرف ٠ وهي اكثر مادة اللغة العربيـة ٠ ولقلة ما جاء من الرباعي الاصول والخماسي ونزارة ماورد من الثنائي رسخ ـ في نظر العربي فرض اصالة الثلاثي دون غيره ٠ فتراه يزيد الثنائي حرفاً عند التصغير والنسب ٠

« الارتجال »

يزعم كثير من علماء اللغات ان كل الفاظ اللغات يمكن ردها الى محاكاة أصوات الحيوان ، فكأن الانسان الذي ميزه الله بالنطق والفكر في رأيهم أحط مرتبة من الحيوان الأعجم لا يمكنه ان ينطق بفطرته بأصوات يعبر بها عن مقاصده ٠ مع ان من الحيوان ما يتفاهم باكثر من عشرة أصوات ٠ ولا ينكر وقوع الارتجال في الانسان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الا مكابر . فان له علاوة على الأصوات الوجدانيـة الاضطرارية كالأنين والتأوه والتأفف والقهقهة الفاظاً لا يمكن إرجاعها الى محاكاة الأصوات الا بتكلف وتعسف فأحر بها ان تكون من الألفاظ المرتجلة أنطقه الله بهـا الذي أنطق كل شيء . واذا قسنا نشأة الانسان بقانون نشـأة الطفل كما يقررون وجدنا ان كثيراً من الاطفال ينطقون ببعض أهجية مرتجلة يدلون بها على مرادهم . قد يستعينون على تفهيمها غيرهم ببعض الإشارات او تقلص الجوارح او بسطهـا . وربما لا يستعينون . فتفهم عنهم بالتكرار فيألفها الطفل و يألفهـا مربوه . على اننا سمعنا كثيراً من الاطفال يرتجلون كلمات مركبة من حروف عدة .

و يرد المعارضون الارتجال بانه لو سلم به لكان كل فرد من الفصحاء بالفطرة او بعضهم يرتجل كل يوم الفاظاً جديدة . مع اننا لم نر احداً من الناس يرتجل شيئاً الآن .

وجوابنا ان عدم الارتجال في الكبار من اصحاب اللغات الراقية ناشيء عن عدم الحاجة اليه لاستغنائهم بها بما وجدوه في لغة قومهم سادا لعوزهم . ولما يصادفونه فيها من قوانين الصوغ والبناء من الاشتقاق والنحت والتوسع بطرق المجاز والنقل من اللغات الاخرى . هذا الى ان تدوين اللغة في كتب ومعجمات . ووضع قواعد وضوابط لها يجعلها كالمجمع عليهـا . و يحمل المرء على الإحجام عن التزيد فيها . على انه قد روي ان بعض رُجّاز الاعراب ممن كانوا يفدون الامصار — عصر تدوين اللغة — كانوا يرتجلون بعض الكلمات ارتجالاً كرؤبة وابيه العجاج .

و يزيد المرء إحجاماً عن الإرتجال تقديس لغته وتنزيهها عن الخلط فيها لانها لغة كتبه الدينية وثمة فريق من الملمين وغيرهم يرى ان اكثر الفاظ اللغة مرتجل ان لم يكن كلها كذلك .

ومن اشهر محدثيهم الفيلسوف « رينان » الفرنسي الشهير في كتابه « اللغات السامية » وحجته ان توليد الثلاثي من الثنائي او من الحرفين الاولين ثم توليد الرباعي من الثلاثي وهكذا لا يخلو من مواضعة واصطلاح . وصدورهما من الأنامي الاولين غير معقول لمكان بداوتهم وغرارتهم . و يرد قوله بان المواضعة والاصطلاح مفروضان حتى في الثنائي بل الأحادي . ولكن لا يمنع ان الاقدمين كانوا يعقدون المحافل والمؤتمرات للاتفاق على كلمة كما تفعل المجامع اللغوية الآن . وانما كان القبائل ينطق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن فكرة او قياس يراعيه في وضع الالفاظ فيسمعه منه غيره . و يفهم مراده بقرينة إشارة او خطاب . فاذا أنس الواضع منه الفهم كرره في المعنى الذي أراده فلا يلبث ان يفشو بين الناس و يصير من أوضاعهم . و يصطلحون على التفاهم به من غير تعمل ولا قصد الى اتفاق عليه في مجمع او محفل .

وقد زعم بعض العلماء ان ارتجال الالفاظ للدلالة على المعاني راجع الى طبائع الحروف المتألفة هي منها . فعنده ان كل حرف يرمز به الى معنى كلي يتفرع الى فروع يدور فيها هذا الحرف . وقد عقد ابن جني لذلك في كتابه « الخصائص » باباً شريفاً نذكر هنا قليلاً من الأمثلة التي ذكرها فيه قال :

« وذلك انهم يضيفون الى اختيار الحروف تشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها . وتقديم ما يضاهي اول الحديث وتأخير ما يضاهي آخره سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب .

ومن ذلك قولهم شد الحبل . فالشين لما فيها من التفشي تشبه صوت اول انجذاب الحبل قبل استحكام الشد ، ثم يليها إحكام الشد والجذب ، فيعبر بالدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة ، فهي أقوى لصيغتها وأدل على المعنى الذي أريد بها . فاما الشدة في الامر فانها مستعارة من شد الحبل .

ومن ذلك قولهم : جر الشيء يجره ، قدم الجيم لانه حرف شديد . واول الجر مشقة على الجار والمجرور جميعاً . ثم عقبوا ذلك بالراء وهي حرف تكرير وكرروها مع ذلك في نفسها وذلك ان الشيء اذا جر على الارض في غالب الامر اضطرب صاعدا عنها ونازلاً . وتكرر ذلك منه . على مافيه من النعمة والقلق . فكانت الراء لما فيها من التكرير ولانها ايضاً قد كررت في نفسها أوفق بها المعنى .

وقال ايضاً « ومن طريف مامر بي في هذه اللغة التي لايكاد يعلم بعدها . ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنون . اذا مازجتهن الفاء على التقديم والتأخير . فاكثر احوالها ومجموع معانيها انها للوهن والضعف ونحوهما .

ومن ذلك الدالف للشيء الضعيف والشيء التالف . واللطيف . والظليف . (المجان) — وليس له عصمة الثمين — والطنف . لما أشرف خارجاً من البناء (وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى الضعف لانه ليس له قوة الراكب الاساس والاصل) والنطف · العيب وهو الى الضعف · والدنف المريض · ومنه النتوفة وذلك لان الفلاة الى الهلاك · الا تراهم يقولون لها مهلكة · وكذلك قالوا لها بيداء · وهي فعلاء من باد يبيد · ومنه الترفه لانها الى اللين والضعف · وعليه قالوا الطرف لان طرف الشيء أضعف من قلبه واوسطه قال الله سبحانه وتعالى : « أولم يروا انا نأت الارض ننقصها من اطرافها » ·

وقال الطائي الكبير :

(كانت هي الوسط المنوع فاستلبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طرفا)

ومنه الفرد · لان المنفرد الى الضعف والهلاك ما هو · قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء كثير باخيه » والفارط : المتقدم · واذا تقدم انفرد · واذا انفرد هلك · الى ان قال : ومنه الفتور للضعف · والرفث للكسر والرديف لانه ليس له تمكن الاول · ومنه الطفل للصبي لضعفه · والطفل للرخص وهو ضد الثمن · والثقل للريح المكروهة · فهي منبوذة مطروحة · وينبغي ان تكون الدقلى من ذلك لضعفه عن صلابة النبع والسراء والتنضب والشوحط · وقالوا الدفر · للنتن · وقالوا للدنيا (ام دفر) سب لها · وتوضيع منها · ومنه الفلتة لضعفة الرأي · وفتل المغزل لانه لتن واستدارة · وذاك الى وهي وضعفة · والفطر · الشق وهو الى الوهن · فأنت ترى من هذه المثل · ومن مراجعة كتابه في هذا المبحث ان رأيه فيه مما تتقبله النفس بقبول حسن ، ولا تستبشعه الأذواق السليمة ، وهو وان لم يبلغ مبلغ الدليل فلا أقل من الأنسة به في التعليل اللغوي ·

عضو المجمع العلمي العربي

الدامرة : احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net